الدعاء في القرآن والسنة

﴿وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ولْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

من خلال الآية الكريمة نشير إلى أهمية الدعاء، مع بيان بعض الأمور إجمالاً:

سبب النزول

سأل رجل رسول اللهّ ﷺ عن اللهّ سبحانه، أهو قريب لنناجيه بصوت خفي؟ أم بعيد ليدعوه بصوت مرتفع؟ فنزلت الآية.

وهناك مجموعة من الآيات التي وردت ولسانها لسان الدعاء نذكر بعض منها:

١- ﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِأَخِي وأَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الاعراف: ١٥١).

٢- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ ولِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ﴾ (إبراهيم: ٤١).

٣- ﴿رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣).

تناولت هذه الآيات موضوع الدعاء باعتباره أحد وسائل الارتباط بين العباد والمعبود سبحانه

المفهوم الحقيقي للدعاء

إن مفهوم الدعاء طلب تهيئة الأسباب والعوامل الخارجة عن دائرة قدرة الإنسان، وهذا الطلب يتجه به الإنسان الى من قدرته لا متناهية ومن يهون عليه كل أمر.

هذا الطلب طبعا يجب ألا يصدر من لسان الإنسان فقط، بل من جميع وجوده، واللسان ترجمان جميع ذرات وجود الإنسان وأعضائه وجوارحه.

يرتبط القلب والروح باللهّ عن طريق الدعاء ارتباطا وثيقا، ويكتسبان القدرة عن طريق اتصالهما المعنوي بالمبدأ الكبير، كما تتصل القطرة من الماء بالبحر الواسع العظيم.

بعض الارشادات التي تستفاد من الآية الكريمة.

١- الدعاء مفيد في أيّ زمان ومكان. فالله عزّ وجلّ يقول: «فَإِنِّي قَرِيبٌ»، أمّا ما يقال عن أوقات معيّنة أو أماكن مقدّسة للدعاء فذلك لكسب الفضيلة.

٢- الله قريب من عبده، فماذا عن العبد؟ أحياناً إذا تعرّضنا لغضبه، فذلك بسبب المعاصي التي تبعدنا عن الله، «فَإِنِّي قَرِيبٌ».

٣- إجابة الله الدعاءَ دائمية، لا موسمية. وليس أدلّ على ذلك من كلمة «أُجِيبُ» التي تعني الدوام.

٤- صحيح أنّ الله تعالى عليم بكلّ شيء، إلّا أنّ وظيفة العبد الدعاء، «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي».

٥- إجابة الدعاء مشروطة بالإيمان، «ولْيُؤْمِنُوا بِي».

٦- الدعاء وسيلة الرشد والهداية، «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ».

فلسفة الدعاء

أولئك الجاهلون بحقيقة الدعاء وآثاره التربويّة والنفسية، يطلقون أنواع التشكيك بشأن الدعاء.

يقولون: الدعاء عامل مخدّر؛ لأنه يصرف النّاس عن الفعّالية والنشاط وعن تطوير الحياة، ويدفعهم بدلا من ذلك الى التوسّل بعوامل غيبة.

ويمكن الرد على هذا الزعم بأن هذا التساؤل والتشكيك نابع من جهلهم بالآثار التربوية والنفسية والاجتماعية للدعاء، فالإنسان بحاجة أحيانا الى الملجأ الذي يلوذ به في الشدائد، والدعاء يضيء نور الأمل في نفس الإنسان.

من يبتعد عن الدعاء يواجه صدمات عنيفة نفسية واجتماعية. وعلى حد تعبير أحد علماء النفس المعروفين:

«ابتعاد الامّة عن الدعاء يعني سقوط تلك الامّة! المجتمع الذي قمع في نفسه روح الحاجة الى الدعاء سوف لا يبقى مصونا عادة من الفساد والزوال.

أما الذين يصفون الدعاء بأنه تخديري لم يفهموا معنى الدعاء؛ لأن الدعاء لا يعني ترك العلل والوسائل الطبيعية واللجوء بدلها الى الدعاء، بل المقصود أن نبذل نهاية جهدنا للاستفادة من كل الوسائل الموجودة. وهذا اللجوء الى اللهّ يحي في أنفسنا روح الأمل والحركة.

الدعاء في الروايات الشريفة

عن النبي ﷺ: «أفزعوا الى الله في حوائجكم، والجأوا إليه في ملماتكم، وتضرعوا إليه وادعوه، فإن الدعاء مخ العبادة، وما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب فإما أن

يعجله له في الدنيا أو يؤجل له في الآخرة، وإما أن يكفر له من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بمأثم».

عن الباقر عليه السلام: «ما بسط عبد يده الى الله عز وجل إلا استحيى الله أن يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضله ورحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتى يمسح بها على رأسه ووجهه».

شروط استجابة الدعاء

١- ينبغي لمن يدعو أن يسعى أولا لتطهير قلبه وروحه، وأن يتوب من الذنب، وأن يقتدي بحياة قادة البشرية الإلهيين.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم أن يسأل أحدكم ربّه شيئا من حوائج الدّنيا والاخرة حتّى يبدأ بالثّناء على اللهّ، والمدحة له والصّلاة على النّبّي وآله، والاعتراف بالذّنب، ثمّ المسألة»[1].

٢- أن يسعى الداعي الى تطهير أمواله من كل غصب وظلم، وألا يكون طعامه من حرام.

عن رسول اللهّ صلى الله عليه وآله قال: «من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه ومكسبه».

٣- ألا يفترق الدعاء عن الجهاد المستمرّ ضدّ كل ألوان الفساد؛ لأنّ اللهّ لا يستجيب ممن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن النّبي صلى الله عليه وآله: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليسلّطنّ اللهّ شراركم على خياركم فيدعو

(١) سفينة البحار: ١/ ٤٤٨.

خياركم فلا يستجاب لهم».

٤- من الشروط الاخرى لاستجابة الدعاء العمل والسعي.

عن علي عليه السلام: «الدّاعي بلا عمل كالرّامي بلا وتر»

واختم الكلام بهذه الرواية الشريفة

عن الصّادق عليه السلام: «مَنْ دَعَا ولَمْ يَذْكُرِ النَّبِي صلى الله عليه وآله رَفْرَفَ الدُّعَاءُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا ذَكَرَ النَّبِيَ صلى الله عليه وآله رُفِعَ الدُّعَاءُ»[2].

الخلاصة

والمحصل من ذلك كله تبرز أهمية الدعاء وآثاره العملية والتربوية على قلب وروح الإنسان، فالدعاء مدرسة متكاملة، تتكفل بكثير من طلبات الإنسان المعنوية، بل والمادية أيضا...ولا يوجد علاج حقيقي لجميع مشاكل الإنسان إلا في مدرسة السماء: القرآن الكريم والعترة الطاهرة.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

(٢) الكافي: ٢/ ٤٩١.

مركز مدارك للتنمية والدراسات الإسلامية
٣٦

الدعاء في القرآن والسنة

الشيخ أحمد القريشي